نزار قباني

سيبقى الحبّ سيّدي..

الطبعة الثالثة
كانون الثاني (يناير)
1992

نظرية جديدة لتكوين العالم

في البدء .. كانت فاطمه
وبعدها تكونتْ عناصر الأشياء
النارُ , والترابُ
والمياه , والهواءٌ
وكانت اللغات والأسماءْ ..
والسيفُ , والربيع
والسباح , والمساءْ
وبعد عيني فاطمه
اكتشف العالم سرَّ الوردة السوداء
وبعدها .. بألفِ قرنٍ
جاءت النساءْ ..

ليست تقال

حاولتُ أسألْ : ما الأنوثة ؟
ثم عدت عن السؤال
فأهم شيءٍ في الأنوثة
أنها .. ليست تقال ....

محاولات لقتل امرأةٍ لا تقتل ..

-1-

وعدتكِ أن لا أحبكِ ..
ثم أمام القرار الكبير , جبنت
وعدتكِ أن لا أعودَ .....
وعُدتْ
وأن لا أموتَ اشتياقاً
ومتّ
وعدتُ مراراً
وقررتُ أن أستقيل مراراً
ولا أتذكرُ أني استقلتْ ...

-2-

وعدت بأشياء أكبر مني ..
فماذا غدا ستقول الجرائد عني ؟
أكيدٌ .. ستكتب أني انتحرت
انتحرت
وعدتكِ أن لا أكون ضعيفاً .. وكنتْ ..
وان لا أقول بعينيكِ شعراً ..
وقلت ....
وعدتُ بأن لا .. وأن لا .. وأن لا..
وحين اكتشفتُ غبائي ..
ضحكت ..

-3-

وعدتكِ ..
أن لا أبالي بشعرك حين يمر أمامي
وحين تدفق كالليل فوق الرصيف ..
صرخت ..
وعدتكِ ..
أن أتجاهل عيناكِ , مهما دعاني الحنينْ
وحين رأيتهما تمطران نجوماً ...
شهقتْ ..
وعدتكِ ..
أن لا أوجه أي رسالة حب إليكِ ..
ولكنني - رغم انفي - كتبتْ
وعدتكِ ..
أن لا أكونَ بأي مكاناً تكونين فيهِ ..
وحين عرفت أنكِ مدعوة للعشاء ..
ذهبتْ ..
وعدتكِ ألا أحبكِ ..
كيفَ ؟
وأينَ؟

وفي أي يومٍ تراني وعدت ؟
لقد كنتُ أكذب من شدة الصدق ,
والحمد الله أني كذبتْ ..

-4-

وعدتُ ..
بكل برود .. وبكل غباءِ
بإحراق كل الجسور ورائي
وقررت بالسر قتل جميع النساءِ
وأعلنت حربي عليكِ
وحين رأيت يديكِ المسالمتين ..
اختجلتْ ..
وعدتُ بأن لا.. وأن لا .. وأن لا ..
وكانت جميع وعودي
دخاناً , وبعثرتهُ في الهواءِ

-5-

وعدتكِ..
أن لا أتلفن ليلاً إليكِ
وان لا أفكر فيكِ, إذا تمرضين
وان لا أخاف عليك
وان لا اقدم ورداً ...
وتلفنتُ ليلاً .. على الرغم مني ..
وأرسلتُ ورداً على الرغم مني ..
وعدت بأن لا .. وأن لا .. وأن لا ..
وحين اكتشفتُ غبائي ضحكتْ ...

-6-

وعدتُ ..
بذبحك خمسين مره ..
وحين رأيت الدماء تغطي ثيابي
تأكدت أني الذي قد ذُبحتْ ..
فلا تأخذيني على محمل الجد ..
مهما غضبت .. ومهما انفعلت ..
ومهما اشتعلت .. ومهما انطفأت ..
لقد كنتُ أكذب من شدة الصدق
والحمد الله أني كذبت ...

-7-

وعدتكِ .. أن أحسم الأمر فوراً ..
وحين رأيتُ الدموع تهرهر من مقلتيكِ
ارتبكت ..
وحين رأيت الحقائب في الأرض ,
أدركت انك لا تقتلين بهذه السهولة
فأنتي البلادُ .. وأنت القبيلة ..
وأنتي القصيدة قبل التكون ,
أنتِ الدفاتر .. أنتِ المشاوير ..أنتِ الطفولة
وأنت نشيد الأناشيد ..
أنت المزامير ..
أن المضيئة ..
أنت الرسوله ..

-8-

وعدتُ ..
بإلغاء عينيكِ من دفتر الذكرياتِ
ولم أكُ أعلم أني سألغي حياتي
ولم أكُ اعلم انكِ ..
- رغم الخلاف الصغير – أنا ..
وأني أنتِ ..
وعدتكِ أن لا احبكِ
- يا للحماقة –
ماذا بنفسي فعلتْ ؟
لقد كنت اكذب من شدة الصدق ,
والحمد الله أني كذبت ....

-9-

وعدتكِ ..
أن لا أكون هنا بعد خمس دقائق ..
ولكن .. إلى أين أذهب؟
إن الشوارع مغسولة بالمطر ..
إلى أين أدخل ؟
إن مقاهي المدينة مسكونة بالضجر
إلى أين أبحر وحدي ؟
وأنت البحار ..
وأنت القلوع ..
وأنت السفر ..
فهل ممكنٌ
أن أظل لعشر دقائق أخرى
لحين انقطاع المطر؟
أكيدٌ بأني سأرحل بعد رحيل الغيوم
وبعد هدوء الرياح ..
وإلاّ..
سأنزل ضيفاً عليكِ
إلى أن يجيء الصباح ....

-10-

وعدتكِ ..
أن لا احبكِ , مثل المجانين , في المرة الثانية
وان لا أهاجم مثل العصافير..
أشجار تفاحك العالية
وان لا أمشط شعرك - حين تنامين -
يا قطتي الغالية
وعدتكِ, أن لا أضيع بقيه عقلي
إذا ما سقطتي على جسدي نجمةً حافية
وعدت بكبح جماح جنوني
ويسعدني أنني لا أزال
شديد التطرف حين أحب
تمام كما كنت في
السنة الماضية
وعدتكي أن لا أخبئ وجهي
بغابات شعرك طيلة عام
وان لا أصيد المحار
على رمل عينيك طيلة عام
فكيف أقول كلاماً سخيفاً
كهذا الكلام

وعيناكي داري
ودار السلام
وكيف سمحت لنفسي
بجرح شعور الرخام
وبيني وبينك خبزا وملكاً
وسكب نبيذا
وشدو حمام
وأنت البداية في كل شيء
ومسك الختام
وعدتكي أن لا أعود ..... وعدت
وان لا أموت اشتياقا .... ومت
وعدت بأشياء اكبر مني
فماذا بنفسي فعلت
لقد كنت اكذب من شدة الصدق
والحمد الله أني كذبتْ ....

التانغو الأخير
فوق حقل من التوليب الأحمر ..
1

كنتِ ..
في أحسن الاتك – يا سيدتي – هذا المساء
كان نهداكِ ..
يذيعان بلاغَ الثورة الأولى بتاريخ النساءْ
ويقودان انقلاباً ضدّ كل الخلفاء ..
كان في عينيكِ غيم أسودْ ..
وبدايات شتاء ..
ونبوءات جميع الأنبياء ..

2

لك تكونـي امرأة عاديـة ..
في ذلك اليوم الشتائي الذي يحكمه الكونياك,
والقهوة .. والجنس .. وإيقاع المزاريب ,
وموسيقى المطر ..
كنتِ جمراً . كنتِ فحما
كنت شيئاً لا يسمى .
لم تكونـي دمية محشوة بالقطن.. مثل الأخريات
كنتِ وحشاً رائعَ الجلد جميلاً ..
لم تكونـي نسمة من نشمات الصيفِ ..
لكنْ كنتِ زلزالاً مهولا .
لم تكونـي زهرة من ورق ..
بل حصاناً .. يمضغ الشرشف شوقاً وصهيلا ..

3

كان تشرين بلا عقل ..
وكان العشبُ متروكاً على فطرته الأولى ..
وماري , تصنع الحب على فطرتها الأولى ..
وكانت تتهجى جسدي حرفاً فحرفا ..
دونَ أن تخطئ في تشكيل كل الكلماتِ
ربما الكونياكُ قد ثقف ماري ..
فهي تختار أرق المفردات.
ربما الكونياك قد علمها
أن في إمكان نهديها احتلال الكائنات
هذه الليلة, يا ماري , سأبقى صامتاً
فالبراندي, هو سلطان اللغاتِ ..

4

كنتَ في أخصب أيامكِ, يا ماري,
وكانت أنهر الياقوت تجري بهدوء ..
والازاهير تغطي كل أنحاء السرير ..
لم تكوني امرأة مذعورة .. أو خائفه
كنت سكينا بقلب العاصفهْ
شربتْ سجادة الموكيت, يا سيدتي, نصف دمي
وأنا اقتطف التوليب مبهوراً ..
وأحسو المطر الوردي من أعلى الينابيع ..
وأكوي بالبراندي شفة الجرح ..
ولا أحسبُ للنار حسابْ ..
آهِ .. يا ماري التي تفتح لي أسوارها مثل كتابْ
لم يعد عندي ما أقرؤهُ.
فأنا آتٍ من الأرض الخرابْ ..

5

آهِ .. يا ماري التي تلبس لي
في أول الليل قميصاً معجزه ..
وإذا ما انتصف الليلُ ..
قميصاً معجزه ..
كيفَ صار الزغب الطالع من إبطيكِ ..
أسلاكَ حرير ؟
آهِ .. يا ماري التي تحفرني في بطنها العاري ..
كجرح مستديرْ ..
يا التي أزرع في أحشائها ..
السيفَ الأخير ..

6

أحرق الكونياك أعصابي ..
وفي عينيكِ برقٌ .. ورعودٌ .. ومطرْ
وقلوع .. واحتمالات سفر
لم أكن أدرك ما يجري تماماً ..
غير أن الأرضَ كانت تحتنا تهتزْ ..
والجدران , والأبواب , والأكوابُ , واللوحاتُ ,
والأشجارُ, والأوراق في الريح تطيرْ
لم أكنْ أسمعُ إلا جرس القرية في الليل ,
وإلا وقع أقدامٍ على الثلج ,
وإلا صرخة الأنثى التي تشتعل النار بقلب
الزمهريرْ
آه .. يا ماري التي تشرح لي كل شيءٍ .. مثل
تلميذٍ صغيرْ.
أنتِ منفاي النهائيٌّ .. وميناءي الأخير
فاسحبيني من يدي ..
قبلَ أن يبلعني البحر الكبير ...

جبال الألب دسيمبر 1983

إلى سمكة قبرصية .. تدعى تامارا ...
1

باسم ليماسول ..
شكراً يا تامارا
باسم هذا الخاتم المغول بالفيروز ..
شكراً يا تامارا
باسم هذا الدفتر المفتوح للضوء .. وللشعر ..
وللعشاق ..
شكراً يا تامارا
باسم أسراب من النورس كانت
تنقر الحنطة من ثغركِ ..
شكراً يا تامارا

باسم كا القبرصيين الذين اكتشفوا
اللؤلؤ الأسودَ في عينيكِ ..
شكراً يا تامارا
باسم أحزاني التي ألقيتها في بحر بيروتَ.
وأجزائي التي أبحثُ عنها ..
في زوايا الأرض ليلاً ونهارا ...
ألفُ شكر .. يا تامارا.

*

يا تامارا القبرصيهْ:
أيها السيف الذي يقتلني من قبل أن يلقي التحيه
باسم مقهانا البدائي على البحر ..
وكرسيين مزروعين في الرمل ..
و (أنطونيو) الذي كان خلال الصيف عراب هوانا
والذي كان وديعاً مثل قط منزليٍّ ..
وعريقاً مثل تمثال حكيمٍ من أثينا ,
ورقيقاً .. وصديقاً . عندما يختار في الليل لنا فاطهة البحر ..
ويوصيك بأن ترتشفي (الأوزو)
الذي تشربه آلهة اليونان في الحب وفي الحرب ..
ويرجوك بأن تستمتعي بمذاق (الكالامارْ)
ومذاق العشق في تلك الجزيرهْ
باسم آلاف التفاصيل الصغيرهْ ..
ألف شكر .. يا تامارا

3

كيفَ أنسى امرأةً من قبرص ..
تدعى تامارا ..
شعرها تعلكه الريح
ونهداها يقيمان مع الله حوارا ..
خرجت من رغوة البحر كعشتار .. وكانت
تلبس الشمسَ بساقيها سوارا ..
كيفَ أنسى جسداً ؟
يقدحُ كالفوسفور في الليل شرارا ..
كيفَ أنسى حلمةً مجنونة
مزقت لحمي , صعوداً ..
وانحدارا ...

4

اصهلي .. يا فرس الماء الجميلهْ
إصرخي .. يا قطة الليل الجميله
بلليني برذاذ الماء والكحل ..
فلولاك لكانت هذه الأرض صحاري ..
بلليني .. بالأغاني القبرصيه
ما تهم الأبجديات .. فأنتِ الأبجدية ..
يا التي عشت إلى جانبها العشقَ .. جنوناً
وانتحارا ..
يا التي ساحلها الرملي يرمي لي ..
زهوراً .. ونبيذاً قبرصياً .. ومحارا ..

لم يكن حب تامارا ..
ذبك الحب الروائي , ولكن
كان عصفاً ودمارا ..
لم يكن جدول ماء
إنما كان انفجارا
لم يكن حباً صغيراً ..
فقد احتل بلاداً .. وشعوباً .. وبحارا
كا أمجادي سراب خادع
ليس من مجدٍ خقيقي ..
سوى عيني تامارا ..

5

تحت سطح الماء .. أحببت تامارا ..
ورأيت السمك الأحمرَ .. والأزرق
والفضي ..
فوجئت بغابات من المرجانِ ..
داعبت كطفل سلحفاة البحر ,
لامستُ النباتات التي تفترس الإنسان,
حاولت انتشال السفن الغرقى من القعر ..
ولملمت كنوزاً ليس تحصى ..
ونجوماً .. وثمارا ..
تحت سطح الماء .. أعلنتُ زواجي بتامارا
فإذا بالموج قد صار نبيذاً
وإذا الأسماكُ أصبحن سكارى ..

6

ما الذي يحدث تحت الماء في جلد تامارا ؟
فهنا .. الأحمر يزداد احمرارا
وهنا . الأخضر يزداد اخضرارا ..
وهنا السرة تزداد أمام الضوء ..
خوفاً .. وانبهارا ..
ما الذي يحدث في عقلي .. وفي عقل تامارا ؟
سمك الدولفين يرمي نفسهُ ..
كالمجانين يميناً .. ويسارا ..
سمكُ الدولفين يدعوني لكي أقفز في الماء ..
وفي مملكة الأسماك ..
لا أملك رأياً أو خيارا ..
عبثٌ .. أن يسأل الإنسان عن ماضيه أو حاضره
عندما يتخذ البحرُ القرارا ...

7

يا تامارا ..
أنتِ في قبرص كبريت .. وشمعٌ
وأنا موسى الذي أوقد تحت الماء نارا ...

ليماسول آذار (مارس)1984

ثلاث مفاجآت لامرأة رومانسية ..

ستفاجأ – سيدتي – لو تعلم
أنـي أجهل ما تعريفُ الحب !!
وستحزن جداً .. حين ستعلم
أن الشاعر ليس بعلام للغيبْ ..
أنا آخر رجل في الدنيا
يتنبأ عن أحوال القلبْ

سيدتي .
إني حين أحبكِ ..
لا احتاج إلى (أل) التعريف
سأكونُ غبياً لو حاولتُ,
وهل شمسٌ تدخل في ثقب
لو عندكِ تعريفٌ للشعر ..
فعندي تعريفُ للحب ..
*

ستفاجأ سيدتي لو تعلم
أنـي أمي في علم التفسيرْ
إن كنت نجحت في عمل الحب
فما نفع التنظير ؟؟
أيصدق أحد أن مليك العشاق وصياد الكلمات
والديك الأقوى في كل الحلبات
لا يعرف أينَ .. وكيفَ ..
تبللنا أمطارُ الوجدْ
ولماا هند تدخلنا في زمن الشعر ..
ولا نتدخلنا دعدْ ..
أيصدق أحدٌ أن فقيه الحب, ومرجعه
لا يحسن تفسير الآياتْ ..
*

ستفاجأ سيدتي لو تعلمُ,
أنـي لا أهتم بتحصيل الدرجات
وبأنـي رجلٌ لا يرعبهُ تكرار السنوات
وتفاجأ أكثرَ ..
حين ستعلمُ أن رغمَ الشيبِ .. ورغمَ الخبرة ..
لم أتخرج من جامعة الحب ..
إنـي تلميذٌ سيدتـي ..
إنـي تلميذك سيدتـي ..
وسأبقى – حتى يأذن ربي – طالبَ علم
وسأبقى دوماً عصفوراً ..
يتعلم في مدرسة الحلمْ ...

الجديد

... وأجهل حين أكون بحضرة عينيكِ
ماذا أريدْ .. وما لاأريد ..
ولم يكن الحبّ شيئاً جديداً عليّ ..
ولكن حبكِ كان الجديد ...

الرب العاشق

سيدتي :
حبكِ صعبٌ
حبكَ صعبٌ
حبك صعب
لو عاني الرب كما عانيتْ
لصاحَ من البلوى: " يا ربّ " ..

5 دقائق

إجلسي خمس دقائق
لا يريد الشعر كي يسقط كالدرويش
في الغيبوبة الكبرى
سوى خمس دقائق ..
لا يريد الشعر كي يثقب لحم الورق العاري
سوى خمس دقائقْ ..
فاعشقيني لدقائق ..
واختفي عن ناظري بعد دقائق

لستُ أحتاجُ إلى أكثر من علبة كبريتٍ
لإشعال ملايين الحرائق
إن أقوى قصص الحب التي أعرفها
لم تدم أكثر من خمس دقائق ...

الديك

سبق السيف العزل
سبق السيف العزل
غرق المركب في الليل بنا
قبل أن تبدأ في شهر العسل
واستقال الديك من منصبه
تاركاً من خلفهِ,
عشرينَ ديوان غزلْ
واستقال الليلُ من عبء الهوى
واستقال الثغرُ من نار القبل
فلماذا أنتِ في المسرح يا سيدتي
بعد أن مات البطل ؟؟

نرجسية

إمرأة مطفأة الذكاء
غبية في قمة الغباء
هل ممكن أن تبلغي خمساً وعشرين سنة؟
ولا تزالين تعيشين على هوامش التاريخ والأشياء
هل ممكن ..
أيتها الساذجة, السطحية , الحمقاء
هل ممكن أن تجهلي ..
أني الذي أسس جمهورية النساء ؟؟

بروتوكول

بوسعك أن تجلسي حيثُ شئتِ ..
ولكن ..
حذار بأن تجلسي في مكان القصيده
صحيح بأني أحبكِ جداً ..
ولكنني في سرير الهوى
سأنسى تفاصيل جسمكِ أنتِ ..
وأختار جسمَ القصيدهْ ..

86 - 1 – 10

التراجيديا

يسمونني في بلادي (مليك النساء)
وما عرفوا أن قصري زجاج
وعرشي هواء
يقولون إني بخير ..
وما شاهدوني
أخوض في بركة من دماء
*
يقولونَ إني القوي المهيمن, والفاتح الأعظم
وأن حريمي لا تغرب الشمس عنهُ
وممتلكاتي العيونُ الكبيرة, والأنجم
فأي مليكٍ تعيس أنا؟
إذا كنت أملك جيش نساءٍ
ولا أحكمُ !!!

الرجل المعدني

شفتاك من حجر .. وصوتكِ من حجر
ويداك آنيتان من عصر الحجر ..
وأنا على طرف السرير .. كنخلة
من ألف قرن .. وهي تنتظر المطرْ
إنـهض .. فإنكَ حالة ميئوسة
إنـهض .. فلا علمٌ لديكَ ولا خبرْ ..
أنسيتني شكلي .. وشكل أنوثتي
وكسرت أغصاني .. وأتلفت الزهر
أني أعض على بياض شراشفي
وأعض من قهري شبابيك القمر

نـهدان

للمرأة التي أحبها
نـهدان عجيبان
واحد من بلاد النبيذ
وواحد من بلاد الحنطه
واحدٌ مجنون كرامبو
وواحدٌ مغرور كالمتنبي
واحدٌ من شمال أوروبا
وواحدٌ من صعيد مصر
وبينـهما ...
دارتْ كلّ الحروب الصليبيهْ ..

رائحة الكتابة

للمرأة التي أحبها
قدمان صغيرتان جداً ..
تشبهان كلام الأطفال
ولجسدها رائحة سرية جداً
كرائحة الكتابة الممنوعه

تدخين

كنتُ أدخن مئة سيجارة في اليوم
وتوقفت عن الانتحار ببطوله
والآن ..
أحاول التوقفَ عن تدخين امرأة واحدهْ
فلا أستطيعْ ....

موسيقى

أمطارُ أوروبا
تعزف سوناتات بيتهوفن
وأمطار الوطن ..
تعزفُ جراحات سيد درويش
وأنا بدون تردد
مع هذا الإسكندرانيّ
الذي يضيءُ في حنجرته قمر الحزن ..
ومآذن سيدنا الحسينْ ...

طبيعة الرجل

يحتاج الرجلُ إلى دقيقةٍ واحده
ليعشقَ امرأه ...
ويحتاج إلى عصور لنسيانها ...

الخروج عن النص

1

أرسم على كراستي مهرين صغيرين
يلعبان على ساحل البحر
ويرشان بعضهما بالماء
واحدٌ له جناح من صوف الأنغورا
والثاني له جناح من دانتيل فينيسيا
واحدٌ يأكل العشب من مراعي القمر
وواحدٌ يأكل العشب من مراعي صدري
واحدٌ .. أضعُ على رأسه نقطة حمراء
وواحدٌ .. أتركه بلا تنقيط
أرسم على كراستي مهرين صغيرين
واحد تعود أنت يرضع حليب أمه ..
وواحدٌ تعود أن يرضع دمي ..
وأسميهما مجازاً (النهدين) ..

2

يكفرني الذين لم يشاهدوا في حياتهم نهداً حقيقياً
لأنني رسمت على كراستي حصاناً
وعندما انتهيت من رسم الحصان
قفز من الكراسة , وطار ..
يعتبرون عملي بدعة
وخروجاً عن النص ..
فالنص حجرٌ .. والنهد نافورة ماء
فالنص سجن للنساء
والنهد انقلاب أبيض
والنص نظام استعماري قديم
والنهد حركة ليبراليهْ ..
والنص زجاجة ضيقة العنقْ
والنهد سمكه ...

3

يهاجمني التاريخيون ..
عندما أخبرهم أنني عرفت في أسفاري
نهوداً من جزر ناهيتي
تنبت كأسجار جوز الهند
ونهوداً من بساتين شط العرب
تنط على كتف الرجل .. كضفدعة نهريه
ونهوداً من تايلاد
تختصر رقة كونفوشيوس
وعنفَ ماوتسي تونغ ..
ونهوداً من جنوب السودان
لها رائحة البن المحروق
تدخل في خاصرة العاشق
ولا تخرج .. إلى أن يشاء الله ..

4

يدينني ..
كل الذين لم يشاهدوا في حياتهمْ ..
أرنباً يركض
يطلقون النارَ على أسماكي ..
وضفادعي ..
وأزاهيري الاستوائيه ..
يطلقون النار على حصاني
لأنه حملك على ظهره ذات ليله
ومشى سبعة أيام .. وسبع ليالٍ
حتى أوصلك بسلامة الله
إلى شواطئ صدري ..

أريد أن أعيش

ساعديني على الخروج حياً ..
من متاهات الشفتين المكتنزتين .. والشعر الأسود
إن معركتي معكِ ليست متكافئه
فأنا لست سوى سمكةٍ صغيره
تسبح في حوض من النحاس السائل
ساعديني على التقاط أنفاسي
فإن نبضي لم يعد طبيعياً
ووقتي صار مرهوناً بمزاجية نهديكِ
فإذا ناما نمتْ ..
وإذا استيقظا استيقظت
ساعديني على التفريق بين بدايات أصابعي
ونهايات عمودك الفقري
ساعديني على السفر من خريطة جسدكْ
فإنني أريدُ أن أعيشْ ..

قراءة في كف امرأة جميلة ..

ليس هناك امرأةٌ في الدنيا أجملَ منك ..
ولكن مشكلتك ..
كمشكلة الوردة التي لا تشم عطرها ..
كمشكلة الكتاب الذي لا يعر القراءة ..
أنتِ أهم امرأة في العالم.
لا لأن عينيكِ هما حديقتان آسيويتان مقمرتان
ولا لأن شفتيك تحتكران نصف محصول فرنسا من النبيذْ
ولا لأن نهديك هما اول ديكتاتورين يحكمان العالم الثالث
ولا لأن جسدك الذكي ..
يفهم ما أقوله , قبل أن أقوله ..
أنتِ أهم امرأة في العالم ..
لأني أحبكِ ..

أشهرك في وجه البشاعة .. دفتر شِعر 1

أشهرك في وجه العالم

سيفاً من الياسمين ..

وأعلن انتصاري .

أشهرك في وجه الكافرين ,

كتاباً مقدساً

وفي وجه الأميين , قصيده ..

وفي وجه البداوة , مملكة من الرخام .

أرمي جواز سفري في البحر ..
وأسميك وطني ..
أرمي جميعَ معاجمي في النار
وأسميكِ لغتي ..
وأغتال جميع ملوكِ الطوائف
وأسميكِ مليكتي .

2

أشهركِ في وجه تموز
وعداً بالمطر
وفي وجه العصافير ..
وعداً بالشجرْ
وفي وجه النوارس ..
وعداً باللون الأزرق

وأرافقُ الأطفال في رحلة مدرسيةٍ
حول نهديكِ ..
ليلعبوا بكرات الثلج
ويصطادوا البط المائي
ويشاهدوا – على الطبيعة –
كروية الأرض ...

3

أشهرك في وجه الصحراء
نخله ..
وفي وجه الجفاف , سنبلة قمح
وفي وجه الظلام ,
شمعداناً من الذهب

وفي وجه الجائعين , رغيف خبز
وفي وجه المستعبدين
راية حرية ..
أشهرك في وجه البشاعة
حمامة بيضاء
ونافورة ماءٍ .. وكتاب شعر

4

أشهرك في وجه البوليس العربي
أغنيه ..
وفي وجه النفط العربي
قارورة عطرْ
وفي وجه الموت العربي
بشارة ولاده ...

5

أعلن أمام أكلة لحوم النساء
أنكِ حبيبتي
فيرمون أضراسهم في البحر
ويقلعون أظافرهم
ويغسلون الدمَ عن ثيابهم
ويدخلون عصر النهضة ...

1985

الطيران فوق سطح العالم

1

قررت نهائياً .. أن أتفرغ لكِ ..
فليس هناك قضيةٌ
تستحق أن يموت الإنسان من أجلها
إلا حُبكِ ..
ولا محطة تستحق الوقوف فيها
إلا محطة شعرك الليلي
وليس هناك أيديولوجية متكاملة
أكثرَ إقناعاً من تقاطيع وجهكْ ..
وليس هناك مكانٌ للانتحار
أعلى من ذروة نهديكِ ..

2

لقد جربت كل الأعمال اليدويه
من رسمٍ على الزجاج ..
وحفرٍ على الخشب
واستنفدت جميعَ امكانيات الصلصال والسيراميك
فلم أكتشف آنية خزفية
أكثر تناسقاً من جسدك
وأصغيت إلى عشرات التنويعات على البيانو
فلم أسمع إلى معزوفةٍ
أحسنَ تأليفاً من أصابعكْ ...

3

قررتُ نهائياً ..

أن أتخلى عن جواز سفري

وأصبحَ واحداً من رعاياك

قررت نهائياً ..

أن أتعلق بأية سحابةٍ

هاربةٍ مع أطفالها باتجاه البحر

فلم يعد لي وطنٌ ألتجئ إليهِ ..

سوى سواحل يديكِ ..

أنتِ الوطنْ الأخير الباقي على خريطة الحريهْ

أنتِ الوطنْ الأخير الذي أطعمني من جوعٍ..

وآمنني من خوفْ ..

وكل الأوطان الأخرى .. أوطان كاريكاتوريهْ

كرسوم والت ديزني ..

أو بوليسية ..

كمؤلفات آغاتا كريستي ..

أنتِ آخرُ سنبله ..

وآخرُ قمر ..

وآخر حمامه ..

وآخر غمامه

وآخرُ مركبٍ أتعلق به ..

قبل وصول التتارْ ....

أنتِ آخرُ وردةٍ أشمها

قبل أن ينتهي زمن الورد ..

وآخر كتاب أقرؤه ..

قبل أن تحترق كل المكتباتْ

وآخرُ كلمةٍ أكتبها

قبل أن يأتي زوار الفجر

وآخر علاقة أقيمها مع امرأه

قبلَ أن تصبح الأنوثه

كلمة تفتش عنها بالعدسات المكبره

في المعاجم والموسوعاتْ ....

4

قررت أن أذهب معكِ ..

إلى آخر نقطةٍ في العالمْ

وآخر نقطةٍ من دمي ...

إنني مشتاق إلى الجزر التي لا تتعامل مع الوقت

ولا تقرأ الجرائد اليوميه

لم يعد عندي أي متاع يؤسف عليه ..

فلحمي .. أكلته الأسماك بين بيروت ولارنكا

ووطني ..

نشلوه من جيبي قبل أن أصعد إلى ظهر

السفينهْ ...

وتذكرة هويتي ...

عليها صورة رجل آخر

كان يشبهني قبل خمسين عاماً ..

ماذا تنتظرين كي تفتحي قلوع شعرك الأسود؟؟

إن رائحة الملح والتوتياء في الميناء

تخترقني كسيفٍ معدني

فلماذا لا تفتحي واحداً من شرايينك لإيوائي؟

أنا الذي فتحت جميع شراييني ..

لاستقبالك ...

5

لم يعد عندي أسئلة أطرحها

فأنتِ والبحر ..

تكتبان هذه الليلة مصيري

لم يعد عندي ارتباطات بأي حجر ..

أو بأية شجره

أو بأية رائحه

أو بأية خزانة ملابس ..

فكل ما تبقى لي ..

هو سروال الجينز الأزرق الذي ألبسه.

والذي كان رفيق تسكعي ..

ورفيقَ السفر .. والمنفى , والمقاهي ,

والقطارات ,

وبواخر الشحن , والدوار , والليل , والبراندي ,

والجنس , والصراخ العصبي في دهاليز الجنونْ.

كل ما تبقى لي ..

هو هذا الجينز التاريخي ..

المغطى بالطعنات .. وفتات الخبز ..

وفتات الجنس .. وفتات صرخاتي ودموعي ..

والذي صارَ المتحف القومي لمشاعري ..

والمفكرة التي أسجل عليها مواعيد الإقلاع ..

والرسو .. ومواعيد الغيبوبة والكحولْ

وصارَ , بعد سقوط كل الأوطان

وطني ....

6

لن أعود إلى حماقاتي السابقه ..

ولن أسألك إلى أين ؟

إن الجغرافيا لم تعد عندي ذاتَ موضوع

فأنا قارورة حزن تطفو على وجه جميع بحار

العالمْ.

والمسافة بين ولادتي وموتي تُحسب

بالسنتيمتراتْ.

لن أسألك إلى أين؟

المهم .. أن تنتزعيني من ذاكرتي

ومن أوراق الرزنامة العربية ..

وترميني على ظهر سفينةٍ

لا ترفع علم أي دولهْ .....

فأنا لم أعد مكترثاً بالممالك .. ولا بالجمهوريات..

إن زجاجة البراندي ..

هي الجمهورية الأكثرُ عدلاً وأماناً في التاريخ..

فاغسلي قدميكِ بمائها المقدس

فهذه فرصتنا الوحيده ..

للطيران فوق سطح العالمْ ....

بيروت 1984

درسٌ في اللغة لتلميذة مبتدئة

1

خُذي كلَّ شيءٍ تريدينَهْ..

واتركي لي لُغتي..

فأنا بحاجةٍ حين تكونينَ معي

إلى لغةٍ جديدةٍ أُحبُّكِ بها..

وأُمشِّطُ شعرَكِ بها..

وأغسلُ أقدامَكِ بها..

وأُغطّيكِ بحنان حروفِها،

عندما تنامينْ..

2

إنني أعرفُ أنّكِ من أقدم اللُغاتْ

ومن أخْصَبِ اللُغاتْ

ومن أصعب اللغاتْ

ولكنني بحاجةٍ حين تكونينَ معي

أن أصنعَ معجزةً صغيرَهْ

أتحدَّى بها نَهْدَيْكِ الرافِضَينِ لكلِّ شيءْ..

والقادرينِ على كلِّ شيءْ

بحاجةٍ إلى لغةٍ ثانيَهْ..

أتفوَّق فيها على جسدك الخرافيّ..

وأرفعُ فيها بيارقي

على أبراجك التي لا تغيب عنها الشمسْ...

3

بلا لُغَتي..

أنتِ امرأةٌ مثل باقي النساءْ

وبها، أنتِ كلُّ النساءْ

بلا لُغتي..

أنتِ إشاعةُ امرأهْ..

قُصاصةُ امرأهْ..

مشروعُ امرأه..

رَسْمٌ تجريديٌ لم يستوعبه أَحَدْ..

ومخطوطةُ شِعْرِيّةٌ

كُتِبتْ بحبرٍ سريّ

ولم ينتبه إليها الناشرونْ...

4

بلا لغتي..

أنتِ إسْوَارةٌ بلا مِعْصَمْ

وملكةٌ بلا شعبْ

ووطنٌ بلا مواطنينْ..

وكنيسةٌ بلا مصلّينْ..

وقصيدةٌ جميلةٌ لم يقرأها أَحَدْ

وها أنذا جئتُ لكي أعلّم الناسْ

كيفَ يَتَهجُّونَكِ...

5

بلا لُغتي..

أنتِ فراشةٌ من حَجَرْ

لا تحطُّ .. ولا تطيرْ

وبيدرٌ لا تهاجمه العصافيرْ

وجزيرةٌ لا تقصدها المراكبْ

وشفةٌ مكتظّةٌ بالعنبْ

لكنَّها..

لا تعرفُ طعْمَ النبيذْ...

6

بلا لُغتي..

لن تجدي مرآةً تتمرّينَ بها..

ولن تجدي مكحلةً تتكحَّلين بها..

ولن تجدي حَلَقاً تضعينَه في أُذُنَيْكِ..

أصفى من دموعي..

فكلماتي هي مراياكِ

ومفرداتي هي أدواتُ زينتِكْ

فخذي كلَّ شيء تريدينهْ..

واتركي لي لغتي..

فهي صولجانُ مجدكْ

وإكليلُ الغار على جبينكْ

وهي العصفورُ الجميل الذي سيحملك على

جناحيهْ

ويطير بك حول الكرة الأرضيَّهْ.

7

بلا لغتـي..

أنتِ كتابٌ لا يزالُ تحت الطبعْ

وقبلةٌ مؤجَّلةٌ التنفيذْ

وصلصالٌ لم يتشكَّلْ بعدْ..

ووردةٌ لم تكتشف عطرها بعدْ..

ونهدٌ .. لم يعرف ما اسمُهُ بعدْ..

فهو ينتظرني حتى أسمّيهْ..

8

خُذي كلَّ شيء تريدينَهْ

واتركي لي لغتي..

فهي الورقةُ الوحيدةُ التي بقيتْ في يدي..

والحصانُ الأخيرُ الذي أقامرُ عليهْ..

لقد ربحتِ حتى الآن عَشَراتِ الجولاتْ..

وهزمتِني عشرات المرّاتْ..

في معركة الحبّ..

فاسمحي لي أن أنتصرَ عليكِ

ولو لمرةٍ واحدةْ..

في معركة الكلماتْ..

1984

الموت الأخير

هذا هو الحدُّ الأقصى لجُنُوني

ولم أعُدْ أقدر أن أحِبّكِ أكثرْ..

هذا هو المدى الأخيرُ لذراعيّ

ولم أعُدْ أستطيعُ أن أضمُمَّكِ أكثرْ..

هذه أعلى نقطة يمكنني الوصول إليها

على جبال نهديكِ.. المتوّجين بالثلج والذَهَبْ..

ولم يَعُدْ بوسعي أن أتسلّق أكثرْ..

هذه آخرُ معركةٍ أدخلها..

للوصول إلى نوافير الماء في غرناطهْ

ولم يعد بوسعي أن أقاتلَ أكثرْ..

هذا آخرُ موتٍ.. أموتُه مع امرأهْ

ومن أجل امرأهْ..

ولم يَعُدْ يمكنني أن أموتَ أكثرْ..

من ملفات محاكم التفتيش

1

يطالبُني حكماءُ القبيلَهْ

أن أتركَ أشعاري على باب خَيْمتِكْ

وأدخلَ عليكِ، مجرّداً من السلاحْ

ماذا يبقى مني؟

إذا نزلتُ عن فَرَس العشقْ

ورهنتُ راياتي وأوسمتي

ومعطفَ الكلمات الجميلَهْ

الذي كنتُ أختالُ به

كفهدٍ إفريقيٍ مرقّطْ..

2

يطالبني عقلاءُ القبيلَهْ

حتى لا تشتعلَ الفتنَهْ

وحتى لا يتقاتلَ الرجالُ مع الرجالْ

من أجل حَفْنةِ كُحْلْ..

وحتى لا يسيلَ دمُ التاريخ من أجل غزالَهْ

أن أفكّ ارتباطي بعينيكِ السوداوينْ

وأحتكمَ إلى العقلْ..

ماذا يبقى من وطن الكحلْ؟

الذي أعطاني جنسيّتي، وجوازَ سفري

إذا قبلتُ التحكيمْ

وخرجتُ من عينيكِ السوداوينْ

تلبيةً لمقتضيات الأمن البدويِّ ....

3

يطالبني فقهاء القبيلهْ

باسم الوصايا العشْرِ التي لم أقرأها

وباسم دولة الذكور التي لا أعترف بها

وباسم المؤلفات التي ألّفها الجرادُ الصحراويّ

وباسم شجرة العائلة

التي كسرتُها.. وتدفأتُ على حطبها

أن أتركَ عشقي لكِ في غمدهْ..

وأتخلى عن أجمل سيفٍ من الذَهَبْ

اقتنيتُهُ في حياتي ...

4

يحاكمني على حبّي بكِ..

قضاةٌ .. لم يقرأو نصاً واحداً من نصوص العشقْ

ولم يسمعوا بـ (طَوْق الحمامة) لابن حَزْمْ..

وبـ (فنّ الحب) لأوفيد

ويطالبُ برأسي..

مثقفونَ يمارسون الحبَّ مع ذباب المقاهي

ولُوطيُّونْ..

لم يتشرفوا بالوقوف في حضرة امرأهْ

أو بقضاء العطلة الصيفية في عيني امرأهْ

أو بالسباحة في صوت امرأهْ ..

5

ينصحني شعراءُ القبيلَهْ

الذين رفضت الأميرةُ قصائدَهُمْ

وأمرت بشنقهم واحداً .. واحداً .. على شرفتها

لأنهم لم يفهموا لُعْبَةَ الأنوثَهْ

ولا لُعْبَةَ الشِعرْ..

وتلعثموا حين سألَتْهُمْ:

عن الفرق بين إيقاعات البحر الطويلْ

وإيقاعات شعرها الطويلْ

وعن الفرق بين خصائص شفتيْها

وخصائص النبيذ الفرنسيّ

وعن الفرق بين النقطة في آخر السَطرْ

والشَامَة في أعلى الظهرْ ...

6

ينصحني مرتزقةُ البَلاطْ

أن أعودَ من حيثُ أَتيتْ

لأن الأميرةَ لا تفتحُ نافذتها

إلا لعصفور يزقزق جيداً ..

وأنني لو فشلتْ..

دفنتني في عتمة ضفائِرها..

7

أضعُ دمي على كفّي

وأرشُّ شراشفَ الأميرة بأشعاري

يستيقظُ النَهْدانِ الكَسُولان من نَوْمهما،

ويهربانِ معي ....

8

يجتمع حكماءُ القبيلة ومستشاروها في جلسةٍ طارِئَهْ

ويدرسونَ مِلفّي ورقةً ورقهْ..

وأعمالي قصيدةً .. قصيدَهْ..

ويستعرضون حبيباتي إمرأةً.. إمرأهْ..

يأخذونَ بصمات يدي.. وبَصَمات فمي..

ويستمعون إلى إفادات شعراء من الدرجة العاشره

جاؤوا من كلِّ المدن العربية ليشهدوا ضدّي ...

9

يقرِّرون بالإجماع: أنني فضيحةٌ مقروءَه

وأنني خطرٌ على الأمن النسائيّ..

يطلبون مني أن أغادر الوَطَنْ

خلال ثمانٍ وأربعين ساعَهْ

فأغادره...

وتتبعني إلى المنفى كلُّ نساء القبيلَهْ...

1983

حوارٌ مع يدين أرستقراطيتين

1

بالرغم من نزعتي الراديكاليَّةْ

وتعاطفي مع جميع الثورات الثقافية في العالمْ

فإنني مضطرٌ أن أرفع قبّعتي

ليديْكِ البورجوازيتيْنْ...

المصنوعتين من الذّهب الخالصْ..

مُضْطّرٌ أن أعترف بنعومتها القصوى

وأنوثتها القصوى..

وسلطتِهما المطلقة على الماء والنَبَاتْ

والحَجَرِ والبَشَرْ..

ومضطرٌ أن أعترف بفضلهما

على حضارة الإغريقْ

وحضارة الفراعنَهْ

وحضارة ما بين النَهْرَيْنْ.

ومضطرٌ أن أعترفْ

بذكائهما حين تتكلَّمانْ

وبعمقهما حين تصمتان

وبحضارتهما...

حين تُمْسِكان إبريقَ الفضَّهْ

وتسكبان الشايَ في فنجاني ...

2

يداكِ أرستقراطيتانِ.. بالوراثَهْ

كما الزُرَافَةٌ ممشوقةٌ بالوراثَهْ

وكما البلبلُ موسيقيٌّ بالوراثَهْ

وكما الكلمةُ متمردة .. بالوراثهْ

وأنا...

لستُ ضدُّ يديْكِ.. المرفّهتيْن.. المدلّلتيْنْ..

ولا أفكّرُ – حين أكونُ معهما-

بأيِّ مشاعرَ طبقيهْ...

فأنا لا أخلطُ أبداً..

بين ما أعتنِد أنه عادلْ ..

وبين ما أعتقد أنه جميلْ..

بين الأيديولوجيات التي ألمسها بذهني

والأيديولوجيات التي تنقّط حليباً وعسلاً

في راحة يدي...

بين روعة المبادئْ

وروعة يديْكِ المليستيْنْ

كأواني الأوبالينْ

وزجاج (غَاليهْ)...

3

يداكِ ملوكيّتانْ ..

لهما أبهة الملوكِ , وعنفوان الملوكْ

وأنا لا أعرف كيف أجلس على طاولة الملوكْ

وما هي اللغةُ المستعملة في مخاطبة الملوكْ

إنني لم أعشقْ في حياتي مليكةً غيرك..

ولم أتورط مع امرأةٍ..

من صاحبات الدم الأزرقِ سواكِ...

فأنا واحدٌ من أفراد هذا الشعبْ

قلبُهُ ينبضُ كتفّاحةٍ حمراءْ

وأنفهُ يشمُ رائحة الأنثى

بصورةٍ بدائيّهْ...

فعلّمينـي..

كيف أكون مهذَّباً مع يديكِ المُهذَّبتيْنْ..

علّميني كلمة السرّ التي توصل إلى كنوز يَدَيكْ

وعلميني كيف أستعملُ ملاعقَ الفضّهْ

وكيف أتسلّق السلالمَ العاجيَّهْ

وكيف أسند رأسي..

على المخدات المصنوعة من القطيفة وريش العصافيرْ

يا ذاتَ اليدينْ اللتيْن تربَّتا في العزّ والدلالْ

علميني ماذا أقول لحَرَسِكْ؟

حتى يسمحوا لي بالدخول إلى قاعة العرشْ

لأقدِّمَ ولائي لأصابعكِ الخرافية التكوين

وأتلو صلواتي أمام أغلى شمعدانين من الفضّهْ

في تاريخ الكنائس البيزنطيَّهْ....

4

يداكِ مثقّفتانِ كثيراً..

وأستاذتانِ في علم الجمالْ

وأنا أقرأ .. وأكتبُ .. على ضوء يديكِ

وأذاكرُ جميعَ دروسي

وأدخلُ جميعَ امتحاناتي

وأنالُ جميعَ شهاداتي

برعايتهما، وحنانهما، ودَعَواتهما الصالحاتْ

فيا ذاتَ اليديْنِ اللتينِ أدينُ لهما بكل ما أعرفْ

لا تُخْبري أحداً..

أنَّ يديْكِ هما مصدرُ ثقافتي..

5

زرتُ متاحفَ الدنيا

من اللوفر، إلى المتروبوليتان، إلى البرادو

ورأيتُ أروعَ الأعمال التشكيليَّهْ

وأقدمَ المنحوتات, والأيقونات

ولكنني لم أشاهد مَنْحُوتةً

بَهَرَتْني أكثرَ من يَدَيْك ...

6

يداكِ مخطوطتانِ عربيّتان نادرتانْ

وكتابانِ .. ليس لهما نسخة ثانيَهْ

فلا تسحبي يَدَكِ من يدي

حتى لا أعودَ أُمِيّاً ...

7

يداكِ أميرتانِ من العصر الوسيطْ

تركبانِ عربةً من الذّهبْ

يجرها حصانان من الذهب

فمتى يصبح النظامُ في وطني ديمقراطياً

لأتمكّن من مصافحة الأميرتينْ؟

8

لو علم رواد المقاهي

أن يَدَيْكِ تتردّدانِ على المقهى كلَّ يومْ

لتركوا فناجينَ قهوتهمْ

وشربُوا يَدَيْكِ...

9

يقفُ المؤمنونْ

أمام كنيسة القدس بولس في روما

مبهورينْ ...

وأقفُ أمامَ كنيسة يديْكِ..

حاملاً زيتي.. وشموعي..

علّني أحظى بمفاتيح الجنّة...

10

أنظر إلى يديكِ ..

وأنتِ تقرأينَ فنجاني

فأطمئنُّ على مستقبلي ..

11

يَدَاكِ سحابتانِ ربيعيّتانْ

لولاهُمَا..

لمات العالمُ عَطَشاً...

12

كل قصائد الشعرْ

من فيرجيل إلى رامبو ..

ومن المتنبي إلى ماياكوفسكي

تبدو أمام كلام يديكِ الموهوبَتيْن

وكأنَّهما مُسودَّات لقصائدَ لم تكتمِلْ..

13

أصابعُ موزارتْ

توصلني إلى حالة انعدام الوزنْ

وأصابعكْ..

تُوصلني إلى اللهْ ....

ليلةٌ في مناجم الذهب

1

جسمُكِ مدْعُوكٌ بالثلج والنارْ

ومعجونٌ ببعضهْ..

كمربّى التين والسفرجَلْ

ومطروقٌ كأباريق النحاسْ

ومليسٌ كالبروكار الدمشقيّ

وعابقٌ كأسواق البهارْ

في مدينةٍ آسيويَّهْ.

2

جسمُكِ مطرّزٌ بالشاماتِ

كليل الباديَهْ

ومزخرفٌ بالأزهارِ،

كالخَط الكوفيّ

وطازجٌ كعروق النعناعْ

ولامعٌ تحت الشمس كفقَمةِ البحرْ

ومُسْتَنْفَرٌ للقتال..

كديكٍ لا يَنامْ....

3

جسمكِ مهرجانٌ للضوء والصوت

يُقَامُ تحت رعاية اللهْ....

4

جسمك ليرةٌ ذهبيَّهْ

ضُربتْ في القسطنطينيهْ

ولم يجرؤ أيٌّ من السلاطينْ

أن يصكَّ مثلَها مرةً ثانيَهْ...

5

جسمُكِ مكتظٌّ بالأحجار الكريمَهْ

مكتظٌ بالمعادن،

والحنطة,

والتوت البريّ

وأشجار السُمَّاقْ

مكتظٌّ بالنُبُوءات كالكُتُب المقدَّسهْ

ومضروبٌ بالحليبِ والعَسَلِ الأسودْ

ومُشرَّبٌ بالشمس

كلحم الفاكهة الاستوائيَّهْ..

6

جسمكِ له رائحةُ القِرْفة واليانسونْ

ورائحةُ الأطفالْ

في اليوم الأول من ولادتهمْ..

7

جسمُكِ مَقَامٌ عراقيٌّ قديمْ

وقهوةٌ.. وهالْ

وأمطارُ لؤلؤٍ كريمْ

و "إنّه من سليمانَ،

وإنه بسم الله الرحمن الرحيم"

8

جسمُكِ مكتنزٌ كبرتقالَهْ

ومغامرٌ كسَمَكَهْ

ومفتوحٌ كورقة الكتابَهْ..

9

جسمُكِ برجٌ من الذَهَبْ

يستقبل كل صباح ألفَ حمامهْ

ويودّع ألفَ حمامَهْ

10

جسمُكِ شَجَرةُ موسيقى

كلّما هززتُها

تساقطت منها الموشحات الأندلسيهْ

ودموعُ إسحق الموصلي..

11

جسمُكِ دفترٌ سريّ

سجّلتُ عليه

كل تاريخ الشعرْ

وكلَّ تفاصيل ليلة القَدْرْ

12

جسمُكِ وليمةٌ مجنونَهْ

من ولائم الرومانْ

يسكرُ فيها النهدْ..

حتى يسقط على سجادة الموكيت

نجمةً محترقَهْ...

13

جسمُكِ قبيلةٌ تحترف الحربْ

كتيبةٌ مدجّجةٌ بالأنوثَهْ..

غَزْوَةٌ حضارية

لاحتلال جميع رجال العالمْ .

14

جسمُكِ كاتدرائيةٌ قوطيّةُ الأقواسْ

تمارَسُ فيها كلُّ الدياناتْ

وتُضاءُ الشموعْ

وتقرعُ الأجراسْ

جسمُكِ منارةُ المناراتْ

ووطن السفن التي لا وطن لها

ووطن العصافير التي تموت من شدّة البردْ

ووطنُ الكلمات

التي تموتُ من شدة القمعْ..

15

جسمُكِ مزارٌ..

لولـيٍّ شرقيٍّ مات عشقاً

ومخطوطةٌ من العهد القديمْ

عليها تواقيعُ ملوكٍ وأنبياءْ

ومغنّين وشعراءْ

ورسّامينَ من عصر النهضَهْ

ومعماريينَ..

من السلالة الفرعونية الرابعَهْ..

16

جسمُكِ عصفورٌ يلعبُ على البيانو جيداً

ويغنّي.. ويرقص..

ويكتب الشعرَ جيداً..

جسمك حربةٌ من البرونز المشتعل

تسافرُ في لحمي.. جيداً..

وتذبحني..

جيداً.. جيداً.. جيداً....

17

جسمُكِ حاضرُ البديهة دائماً

كثعلبٍ متربّصٍ في غابَهْ...

18

جسمُكِ كتابٌ يُقرأ من كلِّ الجهاتْ

عَمُودياً يُقرأ..

وفي الصباح يُقرأ

وفي المساء يُقرأ

وفي وقت القيلولة يُقرأ

ومن الْتِفَاتَةِ العُنُق يُقرأ

ومن شموخ النهدين يُقرأ

ومن أصابع القدمينِ يُقرأ

ومن استدارة الفخذَين يُقرأ

جسمُكِ قارةٌ متعدّدةُ اللغاتْ...

19

جسمُكِ فيه كلُّ عَظَمة التراثْ

وكلُّ دهْشَة الحداثَهْ

فيه شيءٌ من أصولية المتنبي

وشيءٌ من إضاءات رامبو

وهَلْوَسَات سيلفادور دالي...

20

جسمُكِ ثوْريٌّ بالفطرَهْ

وفدائيّ بالفطرَهْ

وقاتلٌ أو مقتولٌ..

بالفطرَهْ..

21

إذا كان نهداكِ مثقّفينِ ثقافةً عاليَهْ

- كما تقولينْ -

فلماذا لم يعترفا حتى الآنْ

بقانون الجاذبية الأرضيّهْ؟

22

درسونا في كلية الحقوق

أن نَهْدَكِ..

هو أقدمُ إعلان للحريّة

عرفه العالمْ..

23

جسمُكِ إشكالٌ لغويٌّ كبيرْ
فلا أنا أعرف كيف أحفظُهْ..
ولا أنا أعرفُ كيف أنساهْ

24

جسمُكِ هو المَلِكْ
وهو يحكُمُنَا باسم اللهْ...
ويدخلنا الجنة بأمر الله ...
ويطردنا منها .. بأَمْرِ اللهْ...

25

عندما تجلسين على المقعد الأخضرْ
ويقررُ جسمُكِ أن يلقيَ قصيدتَهْ..
أستقيلُ أنا من الكلامْ....

1984

قبل أن .. بعد أن ..

1

قبل أن أحبّكِ..

كنتُ متصالحاً مع اللغَةْ

ألعبُ بها، بمهارة ساحرٍ محترفْ

وأحرِّك خيوطَها..

كما يحرِّك طفلٌ طيارةً من ورقْ

كنتُ أميرَ الطير.. وسيِّد المُغنّينْ

وكنتُ إذا سرتُ في الغابَهْ

تركض خلفي الأرانبْ..

وتتبعني الأشجارْ

وتكلمني الضفادعُ النهريّهْ

وتنزلُ النجومُ من شرُفاتها

لتنامَ على كَتِفي..

2

قبل أن أحبّكِ..

كانت إقطاعاتي الأدبيَّهْ

لا تغيبُ عنها الشمسْ

ومملكتي الشعريَّهْ

تمتدُّ من الماء إلى الماءْ

ومن النساءِ.. إلى النساءْ

وكانت الشفةُ التي لا أكتب عنها

تتحوّلُ إلى وردةٍ من وَرَقْ..

وكان النهدُ الذي لا يبايعني

ملكاً مدى الحياهْ

يُعتبر نهداً أميّاً.. ورجْعياً

وتسقطُ عنه حقوقُه المدنيّهْ..

3

قبل أن أحبكِ ..

كان يختبئُ في حنجرتي عشٌّ عصافيرْ

ويعزفُ في دمي

ألفُ تشايكوفسكي..

وألفُ رحمانينوفْ

وألفُ سيّد درويشْ

كانت الأبجديّةُ صديقتي

وكانت الثمانيةُ وعشرونَ حرفاً

تكفي لبوحي، واعترافاتي

وتتبعني كقطيعٍ من الغزلانْ

تأكُلُ العشبَ من يدي

وتشربُ الماءَ من يدي..

وتتعلّمُ أصولَ الحبّ على يدي..

4

قبل أن أحبّكِ..

وأحلامي على قَدِّي

وحزني.. وفَرَحي.. وجنوني

على قَدِّي..

وحين جاء الحبّ الكبيرْ

بدأ المأزِقُ الكبيرْ

وتمزّقتْ خرائطُ اللغَهْ

وصارَ كلُّ ما أعرفه من كلامٍ جميلْ

لا يكفي لتغطية عَشْر دقائقَ من الحنينْ

عندما أدعوكِ للعشاءْ..

5

قبل أن تصبحي حبيبتي

كنتُ أضطجعُ على سرير اللغَهْ

أتغزّلُ بالكلمة التي أريدْ

وأتزوّجُ المُفْرَدَةَ التي أريدْ

لم يكنْ عندي مشكلةٌ مع اللغَهْ

كنتُ مسكوناً بالرنين كأرغُنِ كنيسَهْ

وكنتُ أهدل كالحمائمْ

وأصدح كطيور الكناري

وألبس اللغة في إصبعي

خاتماً من الزمرّد الأخضرْ..

6

بعد أن صرتِ حبيبتي

أضعتُ ذاكرتي اللغويّة نهائياً

ونسيتُ كيف تُهجَّى الحروف.. وكيف تُكْتَبْ..

فلم أعدْ أتذكر من الأسماء

إلا إسمَكِ..

ولم أعُدْ أتذكر من الأصوات..

إلا صوتَكِ...

ولا أتذكّر من موانئ البحر الأبيض المتوسّطْ

سوى عينيكِ المكتظتين..

بالحزنِ..

والكُحْلِ..

وطيورِ النَوْرَسْ...

7

بعدَ.. أن دخَلَ سيفُكِ في لحمي

ولحم ثقافتي

إكتشفتُ أن مساحة الفن تضيقْ

كلما اتَّسعتْ مساحةُ العشقْ

وأن الكلمات التي كنتُ أعرفها قبلكِ ,

سقطتْ من التداولْ

كعملةٍ ورقية ليس لها تغطيَهْ

وأن جميعَ ما أعرفه من مفرداتْ

لا يكفي لتسديد ثمن فنجانيْ قهوَهْ

في أحد مقاهي فينيسيا.. أو كومو..

أو فيينا.. أو لوغانو..

أو بيروتْ..

8

يا التي تعتقلني في داخل قصائدي

وتتحكم بمفاتيح حنجرتي

ومقامات صوتي..

لم يعد يكفيني أن أقولَ (أُحبّكِ)

أريد أن أصل معكِ إلى مرحلة ما بَعْدَ اللغَهْ

وسُحَيْم..

وعُرْوَةِ بنِ الوردْ

والرمزيين، والبرناسيين، والسرياليينْ...

فيا سيّدتي، التي أخذت في حقيبتها اللغهْ..

وسافرتْ...

لماذا أطلقتِ الرصاصَ على فمي؟

وأرجعتنِي إلى مرحلة التَأْتأَهْ....

1985

الحب .. على شريط تسجيل

1

كلامُكِ ليسَ يُطاقُ..

وتعبيرُ عينيكِ ليسَ يُطاقُ..

وهذي الأغاني التي يَتَغَرْغَرُ فيها المُسجِّلُ

منذُ ابتداء النهار، إلى مطلعِ الفجرِ

ليست تطاقُ..

ولا بدَّ لي أن أغادرْ..

لماذا أظلُّ هنا؟ حين كلُّ الوسائد ضدِّي..

وكلُّ المقاعد ضدّي..

وكلُّ المرايا.. وكلُّ الزوايا .. وكلُّ الستائرْ..

لماذا أظلُّ هنا بعد موت جميع المشاعرْ؟

2

لماذا أظلُّ هنـا؟

حين أشعر أنـي سأُشنقُ فـي آخر الليل..

فوقَ الضفائرْ..

لماذا أظلُّ هنـا؟

حين أعرفـُ أنـي سأُدفَنُ تحت رنين العُقُودِ..

وضَوْعِ البخورِ..

وشكوى الأساورْ..

سأذهبُ حتـى أقابلَ شِعْري

فإنـي نسيتُ تماماً، طريقة رَسْمِ الحُروفـِ،

نسيتُ بياضَ الدفاترْ..

فنصفي مقيمٌ لديكِ

ونصفي مسافرْ...

3

صحيحٌ بأني أحبكِ ..

لكنَّ هذا المناخَ العدائيَّ بيني وبينكِ..

أطفأ كلَّ النجوم،

وأيْبَسَ كلَّ البيادرْ

صحيحٌ.. بأنَّ المكانَ أنيقٌ

وأن النبيذَ عميقٌ

وأنَّ التماثيلَ رائعةٌ، والأزاهرْ

ولكنّني، رَغْمَ هذا الإطار الملوكيِّ حولي،

أحِسُّ بأني أموتُ كشاعرْ...

4

ويا ستَّ كل الجميلاتِ..

أعلمُ أن عبيدك كُثُر ..

وأنَ جُنودَكِ كُثُرٌ..

وأنَّ وصالَكِ قَهْرٌ.. وهَجْرَكِ قَهْرٌ..

وأنَّ الذي لا يسبّحُ باسمكِ كافرْ

فلا تَضَعيني.. بقائمة الرُكَّع الساجدينْ

ولا تُدْخليني.. بجيشِ الدراويش والصابرينْ

ولا تحسبيني..

خَرُوفاً تَجُزِّينَ عن جسمه الصوفَ.. كالآخرينْ

ولا تستبدّي برأيكِ فوقَ فراش الهوى

لأنّي من اللهِ.. لا أتلقى الأوامرْ...

فرنسا 1986/1/8

أنا والنساء

1

أريدُ الذهابَ ..

إلى زَمَنٍ سابقٍ لمجيء النساءْ..

إلى زمنٍ سابقٍ لقُدُوم البكاءْ

فلا فيهِ ألمحُ وجهَ امرأهْ..

ولا فيهِ أسمعُ صوتَ امرأهْ..

ولا فيهِ أشنقُ نفسي بثدي امرأهْ..

ولا فيه ألعقُ كالهرِّ رُكْبَةَ أيّ امرأهْ...

2

أريدُ الخروجَ من البئر حيَّاً..

لكي لا أموتَ بضَرْبَة نَهْدٍ..

وأُهْرَسَ تحت الكُعُوب الرفيعةِ..

تحت العيون الكبيرةِ،

تحت الشفاه الغليظةِ،

تحتَ رنين الحِلَى، وجُلُود الفِراءْ

أريدُ الخروجَ من الثقبِ

كي أتنفَّسَ بعضَ الهواءْ..

3

أريدُ الخروجَ من القِنِّ..

حيث الدجاجاتُ ...

ليس يفرّقْنَ بين الصباحِ وبين المَسَاءْ

أُريدُ الخروجَ من القِنِّ..

إنَّ الدَجَاجاتِ مزَّقْنَ ثوبي..

وحللنَ لحمي..

وسَمَّيْنَني شاعرَ الشُعَراءْ....

4

كرهتُ الإقامة في جَوْف هذي الزُجاجَهْ..

كرهتُ الإقامَهْ..

أيمكنُ أن أتولّى

حِرَاسَة نَهْدَيْنِ..

حتى تقومَ القيامَهْ؟؟

أيمكنُ أن يصبح الجِنْسُ سِجْناً

أعيشُ به ألفَ عامٍ وعامْ

أريدُ الذهابَ..

إلى حيث يمكنني أن أنامْ...

فإني مللتُ النبيذَ القديمَ..

الفِرَاشَ القديمَ..

البيانو القديمَ..

الحوارَ القديمَ..

وأشعارَ رامبو..

ولَوْحَات دالي..

وأعينَ (إلْزَا)

وعُقْدَةَ كافْكَا..

وما قالَ مجنونُ لَيْلَى

لشرح الغرامْ...

متى كانَ هذا المُخَبَّلُ مجنونُ ليلى..

خبيراً بفنّ الغرامْ؟

أريدُ الذهابَ إلى زمن البحرِ..

كي أتخلّصَ من كل هذي الكوابيسِ،

من كلّ هذا الفِصَامْ

فهل ممكنٌ؟

- بعد خمسينَ عاماً من الحُبِّ-

أن أستعيدَ السلامْ؟؟

5

أريدُ الذهابَ.. لما قَبْلَ عصر الضفائرْ

وما قَبْلَ عصر عُيُون المَهَا..

وما قَبْلَ عصر رنين الأساورْ

وما قَبْلَ هندٍ..

ودَعْدٍ..

ولُبْنَى..

وما قَبْلَ هزِّ القُدُودِ،

وشَدِّ النهودِ..

ورَبْط الزنانير حول الخواصرْ..

أريدُ الرحيلَ بأيِّ قطارٍ مُسَافرْ

فإنَّ حُرُوبَ النساءْ

بدائيّةٌ كحروب العشائرْ

فقَبْلَ المعاركِ بالسيفِ،

كانتْ هناكَ الأظافِرْ!!.

*

6

كرهتُ كتابةَ شعري على جسد الغانياتْ

كرهتُ التَسَلُّق كلَّ صباحٍ، وكلَّ مساءٍ

إلى قمة الحَلَماتْ..

أريدُ انتشالَ القصيدة من تحت أحذية العابراتْ

أريدُ الدخولَ إلى لغةٍ لا تجيد اللغاتْ

أريدُ عناقاً بلا مُفْرَداتْ

وجنْساً بلا مُفْرَداتْ

وموتاً بلا مُفْرَداتْ

أريدُ استعادةَ وجهي البريءِ كوجه الصلاةْ

أريدُ الرجوعَ إلى صدر أمّي

أريدُ الحياةْ...

فرنسا 1986

حبٌّ .. تحت الصفر

1

هو البحرُ.. يفصل بيني وبينَكِ..

والموجُ، والريحُ، والزمهريرْ.

هو الشِعْرُ.. يفصل بيني وبينكِ..

فانتبهي للسقوط الكبيرْ..

هو القَهْرُ.. يفصل بيني وبينكِ..

فالحبُّ يرفُضُ هذي العلاقَة

بين المرابي.. وبين الأجيرْ..

أحبُّكِ..

هذا احتمالٌ ضعيفٌ.. ضعيفْ

فكلٌّ الكلام به مثلُ هذا الكلام السخيفْ

أحبُّكِ.. كنتُ أحبُّكِ.. ثم كرهتُكِ..

ثم عبدتُكِ.. ثم لعنتُكِ..

ثم كَتبتُكِ.. ثم محوتُكِ..

ثم لصقتُكِ.. ثم كسرتُكِ..

ثم صنعتُكِ.. ثم هدمتُكِ..

ثمَّ اعتبرتُكِ شمسَ الشموسِ.. وغيّرتُ رأيي.

فلا تعجبي لاختلاف فصولي

فكل الحدائقِ، فيها الربيعُ، وفيها الخريفْ..

2

هو الثلجُ بيني وبينكِ..

ماذا سنفعلُ؟

إنَّ الشتاءَ طويلٌ طويلْ

هو الشكُّ يقطعُ كلَّ الجُسُورِ

ويُقْفِلُ كلّ الدروبِ،

ويُغْرِقُ كلَّ النخيلْ

أحبّكِ!.

يا ليتني أستطيعُ استعادةَ

هذا الكلام الجميلْ.

أُحبُّكِ..

أين تُرى تذهبُ الكَلِماتْ؟

وكيف تجفُّ المشاعرُ والقُبُلاتْ

فما كان يمكنني قبل عامَيْنِ

أصبح ضرباً من المستحيلْ

وما كنتُ أكتبُهُ – تحت وهج الحرائقِ –

أصبحَ ضرباً من المستحيلْ..

3

هو الطقس يفصلُ بيني وبينكِ ..

إن الضبابَ كثيفٌ

وأنتِ أمامي.. ولستِ أمامي

ففي أي زاويةٍ يا تُرى تجلسينْ؟

أحاولُ لَمْسك من دون جدوى

فلا شفتاكِ يقينٌ.. ولا شفتايَ يقينْ

يداكِ جليديّتانِ.. زجاجيّتان.. محنّطتانِ..

وأوراقُ أيلولَ تسقُط ذاتَ الشمال وذاتَ اليمينْ

ووجهُكِ يسقط في البحر شيئاً فشيئاً

كنصف هلالٍ حزينْ..

4

تموتُ القصيدةُ من شدَّة البَرْدِ..

من قلة الحُبّ ..

من قِلّة الفحم والزيْتِ..

تيبَسُ في القلب كلُّ زهور الحنينْ

فكيف سأقرأ شعري عليكِ؟

وأنتِ تنامينَ تحت غطاءٍ من الثلجِ..

لا تقرأينَ.. ولا تسمعينْ..

وكيف سأتلو صلاتي؟

إذا كنتِ بالشعر لا تؤمنينْ..

وكيف أقدّمُ للكلمات اعتذاري؟

وكيف أُدافعُ عن زمن الياسمينْ؟

5

جبالٌ من الملح.. تفصل بيني وبينكِ..

كيف سأكسر هذا الجليدْ؟

وكيف سأقطع هذي المسافة بين شفاه تريد

اغتيالي

وبين سريرٍ يريدُ اعتقالي..

وبين ضفيرة شعرٍ تكبِّلني بالحديدْ؟

6

أحبُّكِ.. كنت أُحبُّكِ حتى التَنَاثُرِ.. حتى التبعثُرْ..

حتى التبخّرِ.. حتى اقتحامِ الكواكبِ، حتى

ارتكابِ القصيدة،

حتى ادعاء النبوة , حتى انقطاع الوريد

أُحبُّكِ.. كنتُ قديماً أحبّكِ..

لكنَّ عينيكِ لا تأتيانِ بأيِّ كلامٍ جديدْ

أُحبُّكِ.. يا ليتني أستطيع الدخولَ لوقت البنفسج،

لكنَّ فصلَ الربيع بعيدْ..

ويا ليتني أستطيع الدخولَ لوقت القصيدة،

لكنَّ فصلَ الجنون انتهى من زمانٍ بعيد.

1986

********* **النهاية** *********